وقفة مع استدلال أشياخنا بالحديث

المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم

على جواز دخول طالب العلم في أهل البدع

لنصحهم والإنكار عليهم

لأبي زياد النوبي

محمد بن محمود آل يعقوب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كمَّل لهذه الطائفة سهام الإسلام، وشرَّفهم بجوامع هـذه الأقسام، وميَّزهم من جميع الأنام، حيث أعزهم الله بدينه، ورفعهم بكتابه، وأعلى ذكرهم بسنته، وهداهم إلى طريقته، وطريقة رسوله فهي الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية، والعصبة الهادية، والجماعة العادلة المتمسكة بالسنة، التي لا تريد برسول الله صلى الله عليه و سلم بديلا، ولا عن قوله تبديلا، ولا عن سنته تحويلا، ولا يثنيهم عنها تقلب الأعصار والزمان، ولا يلويهم عن سمتها تغير الحدثان[1]، ولا يصرفهم عن التزامها حب شيخ كائنا من كان، فلا يقدمون قول أحد على قول النبي الهمام، ومنهج صحبه الكرام، فالأثر سبيلهم، والسنة درهم، ومنهج السلف طريقهم ومنهاجهم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدا عبده ورسوله، أكرم الأصفياء، والدَّاعي إلى سلوك المحجة البيضاء، خير خلق الله في الأرض والسَّماء.

وبعد:

فعن أمير المؤمنين الفاروق عمر –رضوان الله عليه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**إنما الأعمال بالنية، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إل ما هاجر إليه**)) متفق عليه.

قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي –رحمه الله–: "من أراد أن يصنف كتابا؛ فليبدأ بحديث ((**الأعمال بالنيات**))"[2].

قال ابن رجب –رحمه الله–: "... وبه صدر البخاري كتابه "الصحيح"، وأقامه مقام الخطبة له؛ إشارة منه إلى أن كل عمل لا يراد به وجه الله؛ فهو باطل، لا ثمرة له في الدنيا، ولا في الآخرة"[3].

[1] مقتبس من أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/٣٣).

[2] رواه البيهقي في الصغرى (٣).

[3] جامع العلوم والحكم صـ (١١).

[أهمية النصيحة]

فأي عمل يحتاج المرء فيه إلى استحضار النية وإصلاحها من الرد والنصيحة!، فأسأل الله عز وجل أن يوفقني لما فيه رضاه، وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وأن تكون النية في هذا العمل النصيحة الخالصة، التي هي عنوان صدق المحبة، وبرهان الإخوة والمودة، والتي جعلها الله رب العالمين سببا للفلاح ونجاة من الخسران في الدنيا والآخرة، والتي حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين فيها تدليلا على عظيم نفعها، ورفعة قدرها، والآتي بها والمنقاد لها، كيف لا؟ وهي وظيفة من وظائف الأنبياء فما من نبي ولا رسول إلا جاء ناصحا لقومه وكان لهم في نصحه آمينا، قال الحسن البصري –رحمه الله–: "ما زال لله ناسٌ يَنصحون لله في عباده، ويَنصحون لعباد الله في حقِّ الله عليهم، ويَعملون له في الأرض بالنَّصيحة، أولئك خُلفاء الله في الأرض"(٤) فنسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الناصحين المخلصين، والمنتصحين الصادقين، فلا خير فيمن لا ينصح، ولا خير في من لا ينتصح.

[زلة العالم وموقفنا منها]

وحيث لا معصوم بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، فكل عالم فضلا عن طالب علم أو داعية مهما بلغت رتبته وعلت مترلته وسمت همته؛ فجائز عليه الخطأ والغفلة والتقصير والتفريط، فمهما كان حريصا على الاستقامة فلابد له من زلة؛ فلكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة، ولكل صارم نبوة.

ولا يعني ذلك قبولها والتسليم بها، بل لابد من ردها فزلة العالِم يزل بها عالَم كما قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: "احذروا زلة العالم؛ فإنه إذا زل: زل بزلته عالم"(٥).

بل إنها بداية هدم الإسلام، قال زياد بن حدير –رحمه الله–:" قال لي عمر –رضي الله عنه–: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟. قلت: لا. قال: يهدمه زلة عالم وجدال منافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين"(٦).

---

[٤] انظر شرح ابن بطال على البخاري (١/١٣٠).

[٥] مجموع الفتاوى (٢٠ / ٢٧٤).

[٦] سنن الدارمي رقم: (٢١٤).

وقال الشاطبي -رحمه الله-: "قد حذر السلف الصالح من زلة العالم وجعلوها من الأمور التي تهدم الدين؛ فإنه ربما ظهرت فتطير في الناس كل مطار فيعدونها دينا وهي ضد الدين، فتكون الزلة حجة في الدين"[٧].

فينبغي بيانها وردها، وفي الوقت ذاته وفي الزمان عينه لا يُسقط صاحبها بل نصحه أحسن، ويكون بالتي هي أحسن.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "ما من أحد من أعيان الأمة من السابقين الأولين ومن بعدهم إلا ولهم أقوال وأفعال خفي عليهم فيها السنة، وهذا باب واسع لا يحصى، مع أن ذلك لا يغض من أقدارهم ولا يسوغ اتباعهم فيها "[٨].

لكن ينبغي الرد على خطئهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ولهذا وجب بيان حال من يغلط في الحديث والرواية، ومن يغلط في الرأي والفتيا، ومن يغلط في الزهد والعبادة، وإن كان المخطئ المجتهد مغفورا له خطؤه وهو مأجور على اجتهاده، فبيان القول والعمل الذي يدل عليه الكتاب والسنة واجب؛ وإن كان في ذلك مخالفة لقوله وعمله، ومن علم منه الاجتهاد السائغ فلا يجوز أن يذكر على وجه الذم والتأثيم له؛ فإن الله غفر له خطأه، بل يجب - لما فيه من الإيمان والتقوى - موالاته ومحبته والقيام بما أوجب الله من حقوقه من ثناء ودعاء وغير ذلك"[٩].

[الرد على أهل السنة]

وهذا هو الفرق بين الرد على أهل السنة والرد على أهل البدعة، فأهل السنة تحفظ لهم مكانتهم وقدرهم، ويرد خطأهم، وأهل البدعة يحذر منهم ومن أقوالهم وأفعالهم.

وكما هو معلوم بين أبناء منهج السلف، أنه لا يلزم في النصيحة أن تكون سرا؛ لأن الرد على الخطأ نصيحة للمخطئ ولمن سمعه، وأخذ عنه هذا الخطأ.

[حرص شيخي على بيان الحق ولو على نفسه]

ولقد أمرني شيخي -حفظه الله- غير مرة بالرد عليه إذا أخطأ، وأحسب أن ذلك لعلمه أنه غير معصوم، ولحرصه على الحق، وحبه للنصيحة والناصحين.

---

٧ الاعتصام (٢ / ٣٤٩).

٨ الفتاوى الكبرى (٣ / ١٧٨).

٩ مجموع الفتاوى (٢٨ / ٢٣٣).

فقال لي يوما: "لو أخطأ حسن عبد الستير ردوا عليه".

وقال يوما: "لا أعز علينا من ديننا إذا أخطأت ردوا علي".

وكنا معه يوما في سيارته فأنكر على بعض الإخوة المتعصبين قائلا: "لماذا ينكرون تخطئة الشيخ بالدليل، أنا أقول لكم لا تحاملوني على حساب الدين متى أخطأت فردوا علي وقوموني".

وطلب مني مرة أن أمثل بخطأ له رجع عنه في بعض أبحاثي، ومرة طلب مني ردا على قاعدة كان يقول بها ثم تركها.

لذلك لا أجد في نفسي غضاضة، ولا في قلبي حرجا من كتابة هذا الرد، بل إني أحسبه يقابله بالمكافأة والثناء والشكر والدعاء، كما قال البقاعي –رحمه الله-: "والله الذي جلت قدرته وتعالت عظمته، لو أن لي سعة تقوم بما أريد لكنت أبذل مالا لمن ينبهني على خطئي، فكلما نبهني أحد على خطأ أعطيته دينارا، ولقد نبهني غير واحد على أشياء فيّ فأصلحتها، وكنت أدعو لهم، وأثني عليهم، وأقول لهم هذا الكلام ترغيبا في المعاودة إلى الانتقاد والاجتهاد في الإسعاف بذلك والإسعاد"[10].

وقال ابن رجب –رحمه الله-: " فرد المقالات الضعيفة، وتبيين الحق في خلافها بالأدلة الشرعية ليس هو مما يكرهه أولئك العلماء، بل مما يحبونه ويمدحون فاعله ويثنون عليه، فلا يكون داخلاً في الغيبة بالكلية، فلو فرض أن أحداً يكره إظهار خطئه المخالف للحق، فلا عبرة بكراهته لذلك؛ فإن كراهة إظهار الحق إذا كان مخالفاً لقول الرجل ليس من الخصال المحمودة، بل الواجب على المسلم أن يحب ظهور الحق ومعرفة المسلمين له سواءٌ كان ذلك في موافقته أو مخالفته"[11].

فأقول مستعينا بالله عز وجل، راجيا إيه أن يوفقني لما يحب ويرضى وأن يجنبني الزلل، وأن يرزقني الإخلاص والقبول، إنه بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

[10] مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السرور(١ / ١٠٤).

[11] الفرق بين النصيحة والتعيير ص:٣٢.

[تفريغ كلامه –حفظه الله–]

نشر على الشبكة العنكبوتية مقطع صوتي لشيخنا أبي عمر حسن بن عبد الستير النعماني –حفظه الله– عبارة عن مكالمة هاتفية من بعض الإخوة جاء فيها قول الشيخ:

"**متى يلزم جرح الرجل إذا كان يظهر على فضائية؟ إذا كان يتكلم بكلام أهل البدعة، ينصرهم، يسكت عن بدعتهم، ونحو ذلك، أما إذا كان يدخل فيهم وينصحهم، ويتكلم بكلام أهل السنة؛ فليس هذا موجب لجرحه، بل الشيخ ربيع له كلمة مأثورة قال: إذا كان الطالب قويا في المنهج وقويا في العلم الشرعي، فمثل هذا له أن يدخل في أهل البدعة ويعظهم وينصحهم، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم"، والمعلوم من حال الشيخ هشام أنه كان في هذه الفضائية يتكلم بمهج أهل السنة والجماعة وكان هذا سببا لإقصائه عنها ولخروجه منها**" أهـ.

[كلام العلامة الشيخ ربيع]

ولقد أنكرت في نفسي ومع بعض الإخوة هذا الاستدلال من شيخنا منذ أن سمعته، ولا أدري هل ذكره الشيخ ربيع أم لا فجمعت هذا الرد وظللت أبحث عن كلمة الشيخ ربيع هذه فلم أجدها، بل لا أجد له إلا التحذير من مجالسة أهل البدعة والحذر منهم، فلما فقدت الأمل في الحصول عليها استعنت بالله عز وجل واستخرته في إخراج هذا الرد، فحررته ثم عرضته على عدد من إخواني المقربين، حتى دلني أحدهم على هذه الفتوى للشيخ ربيع –حفظه الله– من محاضرة "الحث على المودة والائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف":

هل يجوز هجر من يسلم على أهل البدع من الإخوان المسلمين والحركيين والتكفيريين، ويجالسهم مع إقراره بأنهم مبتدعة ويزهد الناس في علم الجرح والتعديل؟

فاستفسر الشيخ: كيف يجالسهم؟ كيف المجالسة هذه؟[١٢]

فأجابه القارئ: فقط ذكر أنه يجالسهم.

---

[١٢] وتأمل في هذا الاستفسار، الذي يشعر بأن المخالطة أنواع، كما سيتضح بعد من كلام الشيخ –حفظه الله–.

فقال الشيخ: كيف يجالسهم؟ بارك الله فيك، هل السلفيون الآن يجالسون أهل البدع؟!

الآن السلفيون قسمان: سلفي قوي، يستطيع أن يبلغ دعوة الله في أهل البدع وفي الأحزاب –بارك الله فيك– بالحجة والبرهان، ويؤثر فيهم ولا يؤثرون فيه، فهذا واجبه أن يختلط بهؤلاء ويدعوهم، لا لأجل أكل ولأجل شرب ولا مداهنة ولا شيء ولا إقرار على باطل، إنما يحصلهم في المساجد يدعوهم، يحصلهم في الأسواق يدعوهم، يركب معه في سيارة يدعوه، يركب معه في طائرة يدعوه، يركب في قطار يدعوه، بارك الله فيك –يدعو لأنه لابد من الاختلاط بهؤلاء– ما له فكة منهم؛ لأن أهل البدع والأهواء أغلبية ساحقة وأن السلفيين كالشعرة البيضاء في الثور الأسود بارك الله فيكم فرغم أنفه يختلط بهؤلاء[١٣]، لكن أيش واجبه؟

واجبه تبليغ دعوة الله بالحكمة والموعظة الحسنة، إنسان جاهل ضعيف الشخصية إذا سمع أدنى شبهة أخذته، أو شُبه، هذا ينبغي أن ينجو منهم ويبتعد عنهم لا يجالسهم، لكن إذا امتحنك إنسان وسلم عليك قل وعليك السلام، بارك الله فيك، لكن تجالسهم وتُآكلهم تضاحكهم تجلس إليهم أنت مخالف للمنهج السلفي ومخالف للسنة، وذاك الذي يستطيع أن يؤثر فيهم ويبلغهم دعوة الله ثم يجلس في بيته بحجة هجران أهل البدع! هذا موَّت الدعوة –عرفتم– يعني الآن أنا ربيع، خلاص لا أرى مبتدعا إلا وأفر منه، وما أدري فلان وفلان وفلان من طلاب العلم لا يرى مبتدعا إلا و فر، شافه طل بوجهه كذا من أمام البيت، شاف مبتدع دس نفسه، شافه في شارع هرب من شارع ثاني، هذا ليس طريقا سلفيا، الصحابة كانوا ينتشرون في الكفار في أقطار الأرض وينشرون دين الله فيهم بارك الله فيكم، السلفيون اللي قبلنا انتشروا في أهل البدع وأثروا فيهم وأدخلوا الملايين في حظيرة المنهج السلفي، فمن كان مناظرا قويا وقوي الشخصية وعالم يقيم الحجة يدعو هؤلاء بالحكمة والموعظة الحسنة وسترون آثار هذا، والضعيف لا والله لا يخالط، في

١٣ إذن فكلام الشيخ عن المخالطة التي لا ينفك عنها أهل المجتمع الواحد، لا سيما في هذا الزمان، وليست هي مخالطتهم في نواديهم، أو منتدياتهم، أو قنواتهم، فانتبه.

الجملة، لكن إذا امتُحن بالسلام عليه فليسم ما فيه شيء، ماذا يصنع؟ بارك الله فيكم، نعم .لكن لا يخالط ولا يجالس" أهـ.

فهذا كلام العلامة الشيخ ربيع –حفظه الله- لم يرد فيه هذا الاستدلال، كما أنه ليس على المورد الذي كان عليه كلام شيخنا، فكلام شيخنا عن الخروج على قنواهم، وكلام العلامة ربيع عن المخالطة التي لا ينفك عنها أهل المجتمع الواحد، من رؤيتهم في الأسواق أو في القطار أو رؤيتهم في الطرقات، فينصحهم ويعلمهم، من غير ان يخرج في دورهم يدرس كتب السلف!

[كلمة للشيخ ابن باز وردت في بعض كتب الشيخ ربيع وتعقب الشيخ ربيع لها]

للشيخ ربيع –حفظه الله- جزء يسير فيه كلام مشهور للعلامة الشيخ ابن باز –رحمه الله- عن الخروج مع جماعة التبليغ نص السؤال والجواب:

نسمع يا سماحة الشيخ عن جماعة التبليغ وما تقوم به من دعوة، فهل تنصحني بالانخراط في هذه الجماعة، أرجو توجيهي ونصحي، وأعظم الله مثوبتكم؟

فأجاب الشيخ بقوله:

((كل من دعا إلى الله فهو مبلغ ((بلغوا عني ولو آية)) ، لكن جماعة التبليغ المعروفة الهندية عندهم خرافات، عندهم بعض البدع والشركيات، فلا يجوز الخروج معهم، إلا إنسان عنده علم يخرج لينكر عليهم ويعلمهم.

أما إذا خرج يتابعهم، لا؛ لأن عندهم خرافات وعندهم غلط، عندهم نقص في العلم، لكن إذا كان جماعة تبليغ غيرهم أهل بصيرة وأهل علم يخرج معهم للدعوة إلى الله.

أو إنسان عنده علم وبصيرة يخرج معهم للتبصير والإنكار والتوجيه إلى الخير وتعليمهم حتى يتركوا المذهب الباطل، ويعتنقوا مذهب أهل السنة والجماعة"[١٤]أهـ.

---

[١٤] رحم الله العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز فقد سئل: "هل يجوز مجالسة أهل البدع في دروسهم ومشاركتهم؟ فأجاب –رحمه الله-: لا يجوز مجالستهم ولا اتخاذهم أصحاباً، ويجب الإنكار عليهم وتحذيرهم من البدع، نسأل الله العافية" مجلة الفرقان، العدد ١٠٠ في ربيع الثاني ١٤١٩هـ.

أما موقف الشيخ ربيع من هذا الكلام فقد جاء في (ص٦) من هذا الجزء قول الشيخ ربيع –حفظه الله-:

"رحم الله الشيخ فلو كانوا يقبلون النصائح والتوجيه من أهل العلم لما كان هناك حرج في الخروج معهم لكن الواقع المؤكد أنهم لا يقبلون نصحاً ولا يرجعون عن باطلهم لشدة تعصبهم واتّباعهم لأهوائهم.

ولو كانوا يقبلون نصائح العلماء لتركوا منهجهم الباطل وسلكوا سبيل أهل التوحيد والسنّة.

وإذا كان الأمر كذلك فلا يجوز الخروج معهم كما هو منهج السلف الصالح القائم على الكتاب والسنة في التحذير من أهل البدع ومن مخالطتهم ومجالستهم؛ **لأن في ذلك تكثيراً لسوادهم ومساعدة وقوة في نشر ضلالهم وذلك غشٌ للإسلام والمسلمين وتغريرٌ بهم وتعاونٌ معهم على الإثم والعدوان.**

لا سيما وهم يبايعون على أربع طرق صوفية فيها الحلول ووحدة الوجود والشرك والبدع" اهـ كلامه –حفظه الله-.

فبان إنكار الشيخ –حفظه الله- للقول بجواز مخالطة أهل البدع بالظهور معهم في نواديهم ودورهم بحجة الإنكار عليهم ونصحهم.

[لا يعرف الحق بالرجال]

والحق أنه لو استدلال الشيخ ربيع –حفظه الله- بهذا الاستدلال لرددناه أيضا، فليست العبرة بالقائل؛ كان الشيخ ربيع أو غيره، فقد تعلمنا من شيوخنا أن الحق يقبل ممن جاء به، وينتصر له ولو على أنفسنا، والباطل يرد على من جاء به كائنا من كان، لا كما يفعل الحزبيون من الانتصار للنفس مهما خالفت الحق!.

[بيان وجه الاجتهاد في هذا الاستدلال[١٥]]

هذا الاستدلال من شيخنا وإن كان فيه مترع من اجتهاد؛ إلا أن الصواب في خلافه كما سيأتي، وأما وجه الاجتهاد فيه:

---

[١٥] فإن منهجنا يأمرنا أن نعتذر لأهل السنة، ولا نستدل بهم، أو نبرر خطأهم، فلا معصوم بعد الرسول صلى الله عليه وسلم.

فقول النبي صلى الله عليه وسلم: "**يخالط الناس**" وهو عام يشمل المسلم والكافر، يشمل أهل البدع وأهل الفسق وأهل الجور والظلم وغيرهم، فيخالطهم مخالطة مناصحة وإصلاح، ويصبر على ما يعود عليه من الأذى، وكل ذلك من غير مداهنة ولا مجاملة.

ولو أن الشيخ أورد هذا الاستدلال على الوجه الذي ذكره الشيخ ربيع من المخالطة التي لا ينفك عنها أهل المجتمع الواحد، لكان استدلالا قويا وفي بابه، لكن لما جاء في معرض الظهور على القنوات الحزبية، كان في غير محله مورده!.

[بيان ضعف هذا الاستدلال]

ومع ما سبق من بيان وجه الاجتهاد في هذا الاستدلال، إلا أنه استدلال ضعيف غير صحيح، ذلك:

أولا: أن كلام رسول الله يفسر بعضه بعضا ويقيد مطلقه ويخصص عامه، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الباب ذم مخالطة أهل البدع ووجب الحذر منهم وهجرهم كما في حديث عائشة –رضي الله عنها– قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**))[١٦]، ولم يقل صل الله عليه وسلم فخالطهم واصبروا على أذاهم.

وعن أبي هريرة أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "**سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم مالم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم**"[١٧]، ولم يقل صلى الله عليه وسلم: فخالطوهم وانصحوهم واصبروا على أذاهم.

[١٦] أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٥٤٧)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٦٥).

[١٧] صحيح مسلم (٧).

ثانيا: أن ثمة قاعدة عند أهل السنة أتباع السلف في الاستدلال وهي: "**كل جزئية من النص العام لم يجر عليها عمل السلف فلا يجوز العمل بها**"، فكيف إن كان عمل السلف على خلافها؟

فكل ما ورد عن السلف في هذا الباب هو ذم مجالسة أهل البدع والنهي عنها، فمن ذلك:

ما قال ابن مسعود –رضي الله عنه-: "من أحب ان يكرم دينه فليعتزل مجالسة أصحاب الأهواء؛ فإن مجالستهم ألصق من الجرب"[18].

وقال ابن عباس –رضي الله عنهما-: "لا تجالس أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة للقلب"[19].

وقال الحسن البصري –رحمه الله-: "لا تجالس صاحب هوى فيقذف في قلبك ما تتبعه عليه فتهلك، أو تخالفه فيمرض قلبك"[20].

وقال أيضا –رحمه الله-: "لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم"[21].

وقال أيضا –رحمه الله-: "لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك"[22].

وقال أبو الجوزاء –رحمه الله-: "لئن يجاورني قردة وخنازير أحب إلي من أن يجاورني أحد منهم – أي: أصحاب الأهواء"[23].

قال الفضيل بن عياض: "إن لله –عز وجل- ملائكة يطلبون حلق الذكر، فانظر مع من يكون مجلسك، لا يكون مع صاحب بدعة؛ فإن الله تعالى لا ينظر إليهم، وعلامة

---

[18] البدع لابن وضاح (٥٦).

[19] الشريعة للآجري ص: ٦١.

[20] البدع والنهي عنها لابن وضاح ١١٠.

[21] شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١ / ١٣٣).

[22] البدع لابن وضاح، ص: ١٠٤.

[23] شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢٣١).

النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مـــع صاحب بدعة، وأدركت خيار الناس كلهم أصحـــاب سنـــة وهم ينهون عن أصحاب البدعة"[٢٤].

وقال —رحمه الله-: "من جلس مع صاحب بدعة فاحذره، ومن جالس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة"[٢٥].

وقال ابن المبارك —رحمه الله-: "إياك أن تجلس مع صاحب بدعة"[٢٦].

وقال أيوب السختياني —رحمه الله-: "رأني سعيد بن جبير جلست إلى طلق بن حبيب فقال لي: ألم أرك جلست إلى طلق بن حبيب لا تجالسه فإنه مرجئ"[٢٧].

وقال أبو قلابة -رحمه الله-: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم؛ فإني لا آمن أن يغمسكم في الضلالة أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما لبس عليهم "[٢٨].

وقال سفيان الثوري -رحمه الله-: "من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاثة:

إما أن يكون فتنة لغيره.

وإما ان يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله النار.

وإما أن يقول: ما أبالي ما تكلموه، وإني واثق بنفسي، فمن أمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه"[٢٩].

قال عثمان بن زائدة —رحمه الله-: "أوصاني سفيان قال: لا تخالط صاحب بدعة"[٣٠].

وقال الإمام أحمد -رحمه الله-: "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله —صلى الله عليه وسلم— والاقتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة،

---

[٢٤] حلية الأولياء (٨/١٠٤).

[٢٥] المصدر السابق.

[٢٦] الإبانة (٤٥٢).

[٢٧] البدع والنهي عنها لابن وضاح ص ٥٢.

[٢٨] سنن الدارمي (١ / ١٢٠).

[٢٩] انظر البدع لابن وضاح، ص: ١٠٤.

[٣٠] الإبانة (٤٥٣).

وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين"[31].

وقال –رحمه الله-: "أهل البدع لا ينبغي لأحد أن يجالسهم ولا يخالطهم ولا يأنس بهم"[32].

وسأله أبو طالب عمن يقول في القرآن: (ليس هو مخلوقا) إذا لقيه في الطريق وسلم أيرد عليه السلام؟ فقال -رحمه الله-: "لا تسلم عليه ولا تكلمه، كيف يعرف الناس إذا سلمت عليه وكيف يعرف هو أنك منكر عليه؟!، فإذا لم تسلم عليه عرف الذل وعرف أنك أنكرت عليه وعرفه الناس"[33].

قال أبو داود السجستاني -رحمه الله- قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل –رحمه الله-: "أرى الرجل مع أهل البدع، أترك كلامه؟ قال: لا أو تعلمه أن الذي رأيته معه صاحب بدعة، فإن ترك كلامه وإلا فألحقه به، قال ابن مسعود: المرء بخدنه"[34].

وقال الإمام ابن أبي يعلى – رحمه الله - : "لا تختلف الرواية في وجوب هجر أهل البدع وفساق الملة"[35].

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: "سمعت أبي وأبا زرعة يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع، ويغلظان في ذلك أشد التغليظ وينكران وضع الكتب برأي في غير آثار، وينهيان عن مجالسة أهل الكلام، والنظر في كتب المتكلمين، ويقولان لا يفلح صاحب كلام أبدا"[36].

وقال مصعب بن سعيد –رحمه الله-: "لا تجالس مفتونا؛ فإنه لن يخطئك منه إحدى اثنتين: إما أن يفتنك فتتابعه، وإما أن يؤذيك قبل أن تفارقه"[37].

---

[31] أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل. وانظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١ / ١٥٦).

[32] الإبانة (٤٩٥).

[33] الشريعة للآجري (١ / ٥٣٠).

[34] طبقات الحنابلة (١ / ١٦٠).

[35] كتاب التمام (٢ / ٢٥٩).

[36] شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١ / ١٧٩).

[37] الإبانة (٢/٤٤٢).

قال الأصبهاني –رحمه الله-: "وترك مجالسة أهل البدع، ومعاشرتهم سنة لئلا يتعلق بقلوب ضعفاء المسلمين بعض بدعتهم، وحتى يعلم الناس أنهم أهل البدعة، ولئلا يكون مجالستهم ذريعة إلى ظهور بدعتهم"[٣٨].

وقال ابن بطة –رحمه الله-: "اعلموا إخواني أني فكرت في السبب الذي أخرج أقواما من السنة والجماعة، واضطرهم إلى البدعة والشناعة، وفتح باب البلية على أفئدتهم وحجب نور الحق عن بصيرتهم، فوجدت ذلك من وجهين:

أحدهما: البحث والتنقير وكثرة السؤال عما لا يعني، ولا يضر العاقل جهله، ولا ينفع المؤمن فهمه.

والآخر: مجالسة من لا تؤمن فتنته، وتفسد القلوب صحبته"[٣٩].

وقال –رحمه الله- :" الله الله معشر المسلمين، لا يحملن أحدا منكم حسن ظنه بنفسه وما عهد من معرفته بصحة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء، فيقول: أداخله لأناظره، أو لأستخرج منه مذهبه؛ فإنهم أشد فتنة من الدجال، وكلامهم ألصق من الجرب، وأحرق للقلوب من اللهب، ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ويسبونهم، فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم، فما زالت بهم المباسطة وخفي المكر ودقيق الكفر حتى صبوا إليهم"[٤٠].

مصداقه ما قال مغيرة: "خرج محمد بن السائب، وما كان له هوى فقال: اذهبوا بنا حتى نسمع قولهم، فما رجع حتى أخذ بها وعلقت قلبه"[٤١].

فما قاله الإمام ابن بطة، وما نقله مغيرة عن محمد بن السائب، يقضي في المسألة، ولا تنس ما مر من كلام سفيان الثوري، فلا يجوز مخالطة أهل البدع والظهور معهم بحجة النصيحة والإنكار عليهم، "فمخالطتهم هلاك بيّن وسمّ قاتل.

قال ابن القيم –رحمه الله– في بيان أقسام الناس من حيث المخالطة: "القسم الرابع: من مخالطته الهلاك كله، ومخالطته بمنـــزلة أكل السّم، فإن اتفق لآكله ترياق وإلا فأحسن الله

[٣٨] الحجة في بيان المحجة (٢/٥٠٩).

[٣٩] الإبانة (١/٣٩٠).

[٤٠] الإبانة (٢ / ٤٧٠).

[٤١] الإبانة (٢ / ٤٦٢).

فيه العزاء، وما أكثر هذا الضرب في الناس لا كثّرهم الله: وهم أهل البدع والضلالة الصّادون عن سنّة رسول الله -صلى الله عليه و سلم- الداعون إلى خلافها الذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً، فيجعلون السنّة بدعة والبدعة سنّة، والمعروف منكراً والمنكر معروفاً ... فالحزم كل الحزم التماس مرضات الله تعالى ورسوله بإغضابهم وأن لا تشتغل بأعتابهم ولا باستعتابهم ولا تبالي بذمهم ولا بغضهم فإنّه عين كمالك".

وقال الإمام اللالكائي – رحمه الله – مبيناً خطر مناظـــرة أهل البدع وما تؤدي إليه: "فما جنى على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة، ولم يكن لهم قهر ولا ذل أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة يموتون من الغيظ، كمداً ودرداً، ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلا.

حتى جاء المغرورون، ففتحوا لهم إليها طريقاً، وصاروا لهم إلى هلاك الإســـلام دليلاً، حتى كثرت بينهم المشاجرة، وظهرت دعوتهم بالمناظرة، وطرقت أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة والعامة، حتى تقابلت الشبه في الحجج، وبلغوا من التدقيق في اللجج، فصاروا أقراناً وأخداناً، وعلى المداهنة خلاناً وأضداداً، وفي الهجرة في الله أعواناً، يكفرونهم في وجوههم عياناً، ويلعنونهم جهاراً وشتان ما بين المنزلتين، وهيهات ما بين المقامين".

وقال الشيـــخ العلامة عبيد الله بن عبد السلام المباركفوري عن قول النبي –صلى الله عليه و سلم-: "**وإنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله**".

قال: "وفي هذا التشبيه فوائد منها: التحذير من مقاربـــة تلك الأهواء ومقاربة أصحابها، وبيان ذلك أن داء الكَلَب فيه ما يشبه العدوى، فإن أصل الكَلَب واقع في الكَلْب، ثم إذا عضّ ذلك الكلب أحداً صار مثله ولم يقدر على الانفصال منه في الغالب إلا بالهلكة، فكذلك المبتدع إذا أورد على أحد رأيه وإشكاله فقلّما يَسلَم من غائلته، بل إما أن يقع معه في مذهبه ويصير من شيعته، وإما أن يثبت في قلبه شكاً يطمع في الانفصال عنه فلا يقدر، هذا بخلاف المعاصي، فإن صاحبها لا يضارّه ولا يداخله فيها غالباً إلا مع طول الصحبة والأُنس به، والاعتياد لحضور معصيته، وقد أتى في الآثار ما يدل على هذا

المعنى، فإن السلـــف الصالح نهوا عن مجالستهم، ومكالمتهم، وكلام مكالمهم، وأغلظوا في ذلك".

قال الآجري –رحمه الله-: "ينبغي لكل من تمسك بما رسمناه في كتابنا هذا، وهو كتـــاب الشريعة، أن يهجـــر جميع أهل الأهواء من الخوارج، والقدرية، والمرجئة، والجهمية، وكل من ينسب إلى المعتزلة، وجميع الروافض، وجميع النواصب، وكل من نسبه أئمـــة المسلمين أنه مبتـــدع بدعة ضلالة، وصح عنه ذلك، فلا ينبغي أن يكلم ولا يسلم عليه، ولا يجالس، ولا يصلى خلفه، ولا يزوج، ولا يتزوج إليه من عرفه، ولا يشاركه، ولا يعامله، ولا يناظره، ولا يجادله، بل يُذله بالهوان له، وإذا لقيته في طريق أخذت في غيرها إن أمكنك.

فإن قال: فلم لا أناظره، وأجادله، وأرد عليه قوله؟

قيل له: لا يُؤمَن عليك أن تناظره، وتسمع منه كلاماً يفسد عليك قلبك، ويخدعك بباطله الذي زيّن له الشيطان فتهلك أنت، إلا أن يضطرك الأمر إلى مناظرته، وإثبات الحجة عليه، بحضرة سلطان أو ما أشبهه، لإثبات الحجة عليه، فأما لغير ذلك فلا.

وهذا الذي ذكرته لك، فقول من تقدم من أئمة المسلمين، وموافق لسنة رسول الله – صلى الله عليه و سلم-"

أشار – رحمه الله – أن كل من تمسك بما عليه أهل السنة والجماعة وهو الذي دونه في كتابه؛ أن يهجر أهل الأهواء والبدع، الذي هو أصل من أصول السنة، فما من كتاب من كتب السلف التي دونوها لبيان أصول السنّة إلا وذكر هذا الأصل العظيم الذي يؤدي إلى الوقاية من خطر البدعة وأهلها.

ثم بيّن –رحمه الله– أن لهجر أهل البدع صوراً كثيرة، فمن ذلك ترك الكلام معهم والسلام عليهم والجلوس إليهم ومناظرتهم ومجادلتهم، بل لا يُصلى خلفهم ولا يتزوج منهم ولا يزوّجون، بل ويعاملهم بالشدّة والذل لهم.

أما عن الدخول والمناظرة معهم للرد عليهم فليس لأحد ذلك؛ لأنّه لا يأمن أحد من أن يقع في نفسه من شبههم شيء فيهلك، ولا تجوز مناظرتهم إلا لإقامة الحجة عليهم أمام

سلطان أو غير ذلك، كما فعل الإمام عبد العزيز الكناني وابن تيمية وغيرهما من السلف.

ثم ختم كلامه -رحمه الله- بنقل الإجماع على ما سبق أن قرره من الهجر وغيره"[٤٢].

[خطورة الظهور مع أهل البدع على عوام المسلمين]

فما مضى بيان مفسدة مخالطة أهل البدع على المخالط نفسه، وهذا بيان خطرها على عوام المسلمين وما يحصل بسببها من التغرير بأهل البدع.

قال سفيان الثوري -رحمه الله-: "من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاثة:

إما أن يكون فتنة لغيره.

وإما ان يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله النار.

وإما أن يقول: ما أبالي ما تكلموه، وإني واثق بنفسي، فمن أمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه"[٤٣].

ومصداق قوله -رحمه الله- ما ذكره أبو الوليد الباجي -رحمه الله- فقال: "لقد أخبرني أبو ذر الهروي – وكان يميل إلى مذهب الأشعري – فسألته: من أين لك هذا؟، قال: كنت ماشيا مع أبي الحسن الدارقطني فلقينا القاضي أبا بكر بن الطيب – الأشعري– ، فالتزمه الدارقطني، وقبل وجهه وعينيه، فلما افترقا قلت: من هذا الذي صنعت به ما لم أعتقد أنك تصنعه وأنت إمام وقتك؟، فقال: هذا إمام المسلمين، والذاب عن الدين، القاضي أبو بكر بن الطيب فمن ذلك الوقت تكررت إليه فاقتديت بمذهبه"[٤٤].

فانظر – رحمك الله – كيف اغتر الهروي بفعل الدارقطني مع الباقلاني فغرته تلك الخلطة وهذا الثناء والتعظيم، ولو أنه -عفا الله عنه- التزم منهاج النبوة في معاملة أهل البدع لما وقع هذا التغرير، ولما وقع في بدعته أسير، وهذا من شؤم مخالطة كل مبتدع حقير.

---

٤٢ بداية من نقل كلام ابن القيم إلى هنا من كتاب "إجماع العلماء على هجر أهل البدع والأهواء".

٤٣ انظر البدع لابن وضاح، ص: ١٠٤.

٤٤ تذكرة الحفاظ (٣/١١٠٤).

[مصالح الهجر الشرعي]

لذلك فاعلم أن الهجر الشرعي إنما يقع لمصالح، فيقع ويقصد به الزجر، ويقع ويقصد به الوقاية.

والزجر يكون للفاعل فينتهي عن فعله، ولغيره أن يفعل مثل فعله، والوقاية تكون للهاجر فلا يتأثر بالمهجور، ولغيره أن يغتر به فيقع في المحظور.

[حكم السلف على المرء بمجلسه وممشاه[٤٥]]

مع التحذير السلف رضوان الله عليهم من مجالسة أهل البدع ومخالطتهم، فإنهم كانوا يحكمون على الرجل بمجلسه وممشاه ومخرجه ومدخله، فإن كانت مع أهل السنة حكموا عليه بالسنة، وإن كانت مع غيرهم رموه بما عليه جلساؤه، قال ابن مسعود –رضي الله عنه–: "اعتبروا الناس بأخدانهم؛ فإن الرجل لا يخادن إلا من يعجبه نحوه"[٤٦].

وقال –رضي الله عنه–: "إنما يماشي الرجل ويصاحب من يحبه ومن هو مثله"[٤٧].

قال أبو حاتم –رحمه الله–: "قدم موسى بن عقبة الصوري بغداد، فذُكر لأحمد بن حنبل؛ فقال: انظروا على من نزل وإلى من يأوي"[٤٨].

قال الأعمش –رحمه الله–: "كانوا لا يسألون عن الرجل بعد ثلاث: ممشاه، ومدخله، وأُلفه من الناس"[٤٩].

قال هشام بن حسان الأسدي –رحمه الله–: "إن أيوب السختياني دعي إلى غسل ميت، فخرج مع القوم فلما كشف عن وجه الميت عرفه فقال: أقبلوا قبل صاحبكم فلست أغسله؛ رأيته يماشي صاحب بدعة"[٥٠].

قال معاذ بن معاذ ليحيى بن سعيد –رحمهما الله–: "يا أبا سعيد، الرجل وإن كتم رأيه لم يخف ذلك في ابنه، ولا صديقه، ولا في جليسه"[٥١].

---

٤٥ انظر "الدر المنثور من القول المأثور في الاعتقاد والسنة"، لأبي فريحان جمال الحارثي.

٤٦ الإبانة (٣٧٦).

٤٧ الإبانة (٤٩٩).

٤٨ الإبانة (٥١٤).

٤٩ الإبانة (٤١٩).

٥٠ الإبانة (٤٩٨).

قال أبو داود السجستاني –رحمه الله–: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: أرى رجلا من أهل السنة مع رجل من أهل البدعة، أترك كلامه؟. قال: لا؛ أو تعلمه أن الرجل الذي رأيته معه صاحب بدعة، فإن ترك كلامه فكلمه، وإلا فألحق به؛ قال بن مسعود: المرء بخدنه"[52].

قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: " ومن كان مسحنا للظن بهم وادعى أنه لم يعرف حالهم؛ عُرِّف حالهم، فإن لم يباينهم، ويظهر لهم الإنكار، وإلا ألحق بهم، وجعل منهم"[53].

وقال –رحمه الله–: "فإذا كان الرجل مخالطا في السير لأهل الشر يحذر منه"[54].

قال ابن عون –رحمه الله–: "من يجالس أهل البدع أشد علينا من أهل البدع"[55].

قال حماد بن زيد رحمه الله–: قال لي يونس: "يا حماد، إني لأرى الشاب على كل حالة منكرة ولا آيس من خيره؛ حتى أراه يصحب صاحب بدعة، فعندها أعلم أنه قد عطب"[56].

[الضوابط والحالات التي تستثنى من هذا الأصل]

فسبق بيان أصل من أصول أهل السنة وهو هجر أهل البدع وعدم مجالستهم أو مخالطتهم، وأصول أهل السنة بفضل الله منضبطة لا تتعارض ولا تتناقض، وهذا الأصل لا يصطدم مع أصل آخر وهو النصيحة لكل مسلم، والدين النصيحة؛ فإن النصيحة للمسلمين واجبة على الكفاية في أصلها، سواء كانوا من أهل السنة أو من أهل البدعة، مع عدم اشتراط نصيحتهم قبل الرد عليهم؛ لأن الرد عليهم في ذاته نصيحة!، ولا يلزم في نصح أهل البدعة مخالطتهم والسير معهم في جماعتهم وحزبهم، بل تكون بالمراسلة والكتابة

---

٥١ الإبانة (٥٠٩).

٥٢ طبقات الحنابلة (٢١٦).

٥٣ مجموع الفتاوى (٢/١٣٣).

٥٤ مجموع الفتاوى (٣٥/٤١٤).

٥٥ الإبانة (٤٨٦).

٥٦ الشرح والإبانة (٩٤).

والرد مسموعا ومقروءً ونحو ذلك، وأما الذهاب إليهم في دُورهم ومناظرتهم **فيكون في حالات منها:**

أولا: إذا أمره ولي الأمر بالمناظرة، فإنه إن تحققت فيه الضوابط الآتي ذكرها –إن شاء الله– فطاعة ولي الأمر واجبة، وإن لم تتحقق فيه هذه الضوابط كان أمره من جنس المعصية فلا يسمع له ويطاع فيها.

ثانيا: إذا عظم شر هذا المبتدع، وانتشر انخداع الناس به، فاقتضت المصلحة فضحه، وهتك ستره، وبيان عواره للناس.

ثالثا: إذا لم يكن معروفا بين الناس بنحلة أو بدعة، أو لم يكن مؤصلا ومنظرا لها، فينبغي التفريق بين الجاهل والعالم وبين الداعي إلى البدعة وغير الداعي، وبين التابع المقلد والمؤصل المنظر.

وكل ذلك مع شرط وقاية النفس ودفع تغرير الناس بهم ولا يكون ذلك إلا بضوابط منها:

أولا: أن يكون من أهل العلم الراسخين، الذين شُهد لهم بالحكمة والعلم والرسوخ فيه، وذلك حتى لا يفتن بهم.

ثانيا: أن يكون على شرط عدم التكرار والتردد عليهم وإنما يبين الحق ويمضي، حتى لا يقع في حبالهم ولا يُغتر بكثرة دخوله وخروجه عليهم.

ثالثا: أن يكون معلوما عنه أنه ذاهب للإنكار عليهم وزجرهم، وذلك دفعا لاغترار الناس بهم وبهذه المخالطة والمجالسة.

وكل ذلك تنعدم فيه الصورة التي من أجلها كانت هذه الوقفة، فلا يكون نصحهم ومناظرتهم بالتدريس والتعليم والدعوة عندهم، فأنت بذلك تدعو إليهم وإلى تكثير سودهم، وتقوية شوكتهم، شئت أم أبيت، فلابد أن **يكون نصحهم في دارهم إنكارا عليهم لا تدريسا لهم، ولمن حضر عندهم!.**

وبيان ذلك من فعل السلف:

ما كان من ابن مسعود رضي الله عنه مع أصحاب الحلق، فهذا إنكار يسلم فيه المرء من التغرير أو الافتتان، فهذه بدعة كانت في مهدها إلا أنها بدأت تنتشر بين المسلمين

فكانت المصلحة في وأدها، وابن مسعود من أهل العلم الراسخين، وكل من يراه في هذا المسجد يعلم أنه ينكر ويحذر من هذه البدعة التي هم عليها، من إطاحة الحصى وقوله: إما إنكم أهدى من محمد –وهذا محال– أو مفتتحوا باب ضلالة.

وما كان من ابن عباس في مناظرة الخوارج، فقد كانت فتنة الخوارج فتنة عظيمة، وكان ابن عباس من أهل العلم الراسخين، فذهب إليهم بإذن ولي الأمر وأبطل حججهم، ثم انصرف، ولم يقل أماشيهم وأخالطهم كي أناصحهم!، لا سيما وقد استجاب له عدد كثير!، وكانت مفسدة الاغترار بهم مأمونة من ذم ابن عباس لهم: "جئتكم من عند أصحاب رسول الله وليس فيكم منهم أحد" كأنه يقول لكم أنتم جهلة ليس فيكم عالم، وكل من رآه علم أنه ذهب لإبطال حجتهم وبيان فساد منهجهم.

وكما كان من الإمام أحمد في هذه الفتنة العظيمة فتنة خلق القرآن، التي امتحن بها المسلمون، وعظمت بها البلية، فأمر الخليفةُ الواثقُ الإمامَ أحمدَ أن يناظر ابن أبي دؤاد، وكان أحمد من الراسخين في العلم، فلو أبى الإمام أحمد لوقعت مفسدتين أولا: معصية ولي الأمر. ثانيا: لصدق الناس ابن أبي دؤاد، ولظل مذهب المعتزلة الكفري هو السائد، فلما ناظرهم وأبطل حججهم انقطعت الفتنة علي يديه بإذن الله رب العالمين وفضله وكرمه.

فلا يجوز الذهاب إلى أهل البدع، ومناظرتهم إلا في هذه الحالات وبهذه الشروط، وأما تدريس الكتب والمتون في دورهم وقنواتهم، بحجة نصيحتهم فهذا أمر ليس عليه دليل ولم يفعله أحد من السلف–فيما أعلم– ولا مصلحة من ورائه، بل لا ينتج عنه إلا كل سوء، من التغرير بالمبتدعة وتكثير سوادهم وتقوية شوكتهم، ومن الافتتان بهم والوقوع في حبالهم، فأهل البدع إنما يلبسون عليك دينك ولا يرجعون كما قال الإمام أحمد فيما نقله عنه الإمام ابن بطة العكبري –رحمهما الله– عن أبي علي حنبل بن إسحاق بن حنبل قال: كتب رجل إلى أبي عبد الله رحمه الله كتاباً يستأذنه فيه أن يضع كتاباً يشرح فيه الرد على أهل البدع وأن يحضر مع أهل الكلام فيناظرهم ويحتج عليهم.

فكتب إليه أبو عبد الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

أحسن الله عاقبتك، ودفع عنك كل مكروه ومحذور، الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من سلفنا من أهل العلم أنهم كانوا يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ، وإنما الأمور في التسليم والانتهاء إلى ما كان في كتاب الله أو سنة رسول الله، لا في الجلوس مع أهل البدع والزيغ لترد عليهم، **فإنهم يلبسون عليك، وهم لا يرجعون،** فالسلامة إن شاء الله **في ترك مجالستهم والخوض معهم في بدعتهم وضلالتهم، فليتق الله امرؤ،** وليصر إلى ما يعود عليه نفعه غداً من عمل صالح يقدمه لنفسه، **ولا يكن ممن يحدث أمراً،** فإذا هو خرج منه أراد الحجة، فيحمل نفسه على المحال فيه، وطلب الحجة لما خرج منه بحق أو بباطل، ليزين به بدعته، وما أحدث، وأشد من ذلك أن يكون قد وضعه في كتاب قد حمل عنه، فهو يريد أن يزين ذلك بالحق والباطل، وإن وضح له الحق في غيره، ونسأل الله التوفيق لنا ولك، والسلام عليك"[٥٧]. اهـ

وإليك تفصيل شيخ الإسلام –رحمه الله– في المناظرة: "وقد ينهون –أي: السلف– عن المجادلة والمناظرة، إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة، فيخاف عليه أن يفسده ذلك المُضلّ، كما يُنهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل علجاً قوياً من علوج الكفار، فإن ذلك يضرّه ويضر المسلمين بلا منفعة.

وقد ينهى عنها إذا كان المناظر معانداً يَظهر له الحق فلا يقبله –وهو السوفسطائي– فإن الأمم كلهم متفقون على أن المناظرة إذا انتهت إلى مقدمات معروفة بينة بنفسها ضرورية وجحدها الخصم كان سوفسطائيا، ولم يؤمر بمناظرته بعد ذلك، بل إن كان فاسد العقل داووه، وإن كان عاجزاً عن معرفة الحق –ولا مضرّة فيه– تركوه، وإن كان مستحقاً للعقاب عاقبوه مع القدرة: إما بتعزير وإما بالقتل، وغالب الخلق لا ينقادون للحق إلا بالقهر.

والمقصود أنهم نهوا عن المناظرة لمن لا يقوم بواجبها، أو مع من لا يكون في مناظرته مصلحة راجحة، أو فيها مفسدة راجحة، فهذه أمور عارضة تختلف باختلاف الأحوال.

---

٥٧ "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة"(٢/٤٧١-٤٧٢).

وأما جنس المناظرة بالحق فقد تكون واجبة تارة ومستحبة أخرى، وفي الجملة جنس المناظرة والمجادلة فيها محمود ومذموم، ومفسدة ومصلحة، وحق وباطل"[٥٨].

وهذا ما بينه الإمام الآجري –رحمه الله– لما ذكر منهج أهل السنة في هجر المبتدع فأورد إشكالا قائلا: " فإن قال: فلم لا أناظره، وأجادله، وأرد عليه قوله؟

قيل له: لا يُؤمَن عليك أن تناظره، وتسمع منه كلاماً يفسد عليك قلبك، ويخدعك بباطله الذي زيّن له الشيطان فتهلك أنت، **إلا أن يضطرك الأمر إلى مناظرته، وإثبات الحجة عليه، بحضرة سلطان أو ما أشبهه، لإثبات الحجة عليه، فأما لغير ذلك فلا.**

وهذا الذي ذكرته لك، فقول من تقدم من أئمة المسلمين، وموافق لسنة رسول الله – صلى الله عليه و سلم–"

قال الآجري –رحمه الله–: " ... إن كان الذي يسألك مسألته؛ مسألة مسترشد إلى طريق الحق لا مناظرة، فأرشده بأرشد ما يكون من البيان، بالعلم من الكتاب والسنة وقول الصحابة قول أئمة المسلمين، وإن كان يريد مناظرتك، ومجادلتك، فهذا الذي كره لك العلماء، واحذره على دينك.

فإن قال: ندعهم يتكملون بالباطل، ونسكت عنهم؟.

قيل له: سكوتك عنهم وهجرتك لما تكلموا به أشد عليهم من مناظرتك لهم، كذا قال من تقدم من السلف الصالح من علماء المسلمين".

ولهذا قال عبد الله البسري –رحمه الله–: "ليس السنة عندنا ان ترد على أهل الأهواء، ولكن السنة عندنا ألا تكلم أحدا منهم"[٥٩].

[نهي شيخنا عن مخالطة أهل البدع بحجة نصحهم والإنكار عليهم]

في مقطع لشيخنا أبي عمر حسن بن عبد الستير النعماني –حفظه الله– منشور على الشبكة العنكبوتية بعنوان: "السهام النعمانية على أهل الدعوة الخلفية" سُئل –حفظه الله–: هل يجوز لإخواننا الذين هم على المنهج، أو من يعرفون بأنهم هم أهل المنهج في البلد أن

---

٥٨ درء التعارض (١٧٣/٧–١٧٤).

٥٩ الإبانة (٤٧٨).

يذهبوا إلى دار كدار مثلا عرفت لأهل البدع كالإخوان المسلمين وغيرهم ويدرسون عندهم هناك ويقولون نحن ندرس بطريقتنا؟

جواب الشيخ: لا .. لا يجوز .. لا يجوز، بعض السلف كانوا يقولون إذا رأيت مبتدعا يسير في طريق فخذ في غيره، بل كان بعضهم ربما يستوقف ابن سيرين يقول: أكلم كلمة. يقول: ولا نصف كلمة. بل بعضهم يقول: أقرأ عليك آية؟ فيقول: لا.

فهذا هو الموقف، خاصة وأننا ولله الحمد لسنا في حاجة إلى هذا؛ مساجدنا موجودة، ودعوتنا ولله الحمد موجودة في المساجد، فلماذا نذهب إلى دورهم؟!

إن الذهاب إلى دورهم وأماكنهم قد يكون نوعا من أنواع التأييد لهؤلاء، ولذلك انظر في موقف مسلم بن يسار لما قالوا لابن الأشعث: إن أردت أن يقاتلوا حولك كما قاتلوا يوم الجمل حول جمل عائشة فأخرج معك مسلم بن يسار. فأخرجه مكرها، فلما رآه الناس في الصف خرج الناس وتتابعوا.

فهذه عبرة أن الإنسان إذا وجد مع هؤلاء أو بينهم ووسطهم، فقد يكون ذلك تغريرا بالعامة في الدخول معهم، والأولى أن الإنسان يعتزل، بل لسنا في حاجة أصلا" أهـــ.

فهذا هو التأصيل الذي كنا نرجوه من شيخنا –وفقه الله– أن يعيده في نفس المكالمة حول الشيخ هشام البيلي –وفقه الله–.

[وقفة مع استدلال آخر لأحد الأفاضل]

سئل أحد العلماء الكبار الأفاضل : هل يجوز للداعية السلفي أن يلقي محاضرة في المراكز الحزبية المخالفة أم لا؟

الجواب:

دعوهم إلى الله؟، الرسول –صلى الله عليه وسلم– كان يذهب إلى المشركين وإلى تجمعاهم في مزدلفة وفي منى يدعوهم إلى الله، يغشى مجامع قريش يدعوهم إلى الله، إذا كان الإنسان عنده قوة، وعنده علم، يذهب إليهم ويدعوهم إلى الله، هذا شيء طيب، نعم.أهـــ

أقول أولا: كل –بعد النبي صلى الله عليه وسلم– يؤخذ من قوله ويرد، والحق لا يعرف بالرجال، والإمام الكبير قد تقع منه الزلة ابتلاء لنا، كما قال عمار في عائشة –

رضي الله عنهما-: "والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، لكن الله ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي؟!"[٦٠].

ثانيا: هذا الكلام من فضيلته -حفظه الله- محتمل في أمرين، إما أن يكون توجيها للسؤال، وإما أن يكون بينا له.

فإن كان توجيها له، فلا حرج ولا شيء فيه، وعليه يترل فعل ابن مسعود، وابن عباس، وغيرهما فيذهب ينصحهم ويدعوهم إلى الله، من غير إقامة الدروس والدورات والمحاضرات، التي يلزم منها تكثير سوادهم، وتغرير العامة بهم، وغير ذلك من المفاسد الناتجة عن هذه المخالطة كما مر بيانه.

وإن كان بيانا للسؤال، فإن ما قيل في الاستدلال السابق يقال فيه أيضا، ويضاف إليه الفرق بين المشركين وأهل البدع، فإنه يغتر بالمبتدع ما لا يغتر بالكافر!، وإلا فكل من يراه -صلى الله عليه وسلم- في تلك الحال يعلم مخالفته لهم ديانة لا مجرد طريقة!؛ فمن ذا الذي يغتر بهؤلاء الذين يدعوهم رسول الله من الصحابة أو غيرهم؟!.

قال أبو علي الحسين بن أحمد البجلي -رحمه الله-: "دخلت على أحمد بن حنبل، فجاءه رسول الخليفة يسأله عن الاستعانة بأهل الأهواء، فقال أحمد: لا يستعان بهم. قال: فيستعان باليهود والنصارى ولا يستعان بهم؟. قال: إن النصارى واليهود لا يدعون إلى أديانهم، وأصحاب الأهواء داعية"[٦١].

كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يواعد الصحابة في التجمع الفلاني حتى يعطيهم الدروس والمواعظ والخطب!.

وعل كل حال فنحن بحاجة إلى سلف للشيخ في ذلك، وإلا فالأدلة والآثار تدل على خلاف قول الشيخ -حفظه الله جبلا شامخا وإماما من أئمة السنة في العصر الحديث-.

---

[٦٠] فتح الباري (٧ / ١٠٦).

[٦١] الآداب الشرعية (١ / ٢٧٥).

[وقفات مع بعض الإخوة]

وبعد ما مضى من بيان، بقيت وقفات مع بعض الإخوة هداني الله وإياهم.

الوقفة الأولى: لا يبدع الشيخ لأجل استدلال أخطأ فيه وله متزع من الاجتهاد كما مر بيانه، نعم لا نقره بل نرده، لكن يبدع الرجل بهذا الخطأ ؟!!

في أي دين هذا وفي أي منهج ؟! هذا في دين الخوارج ومنهج الحدادية، فاحذر مسلك أولئك؛ فلقد صاروا حدادية في عامين .. وبضعة أشهر!!

بعد أن كانوا ينشرون لكل من هب ودب، ويسمعون لكل من شاب أو شب، فبصرهم الله بقبح ما كانوا عليه .. فكان ماذا؟

أن جاءوا من أقصى الشمال لأقصى اليمين، ولم يلتزموا الوسطية، يتشدقون بقواعد الجرح، ظنا منهم أن الجرح هو مجرد خروج الدم، لا يعلمون أن الطبيب المداوي يجرح، كما أن (البلطجي) المنحرف يجرح، لكن جرح الطبيب علاج ودواء، وجرح البلطجي بتر وإيذاء!

فقبل أن تحمل المبعض مزاولا عليك أن تضبط القوانين وتحسن الاستخدام، وتحكم القبضة!، وإلا تفعل جرحت نفسك لا محالة.

فدع عنك الكتابة لست منها ... ولو سودت وجهك بالمداد

فدعوكم من الجرح ومن التعديل، فلستم أهلا لأحدهما!!، وصدق القاضي عبد الوهاب المالكي حين قال:

متى يصل العطاش إلى ارتواء إذا استقت البحار من الركايا

ومن يثني الأصاغر عن مراد إذا جلس الأكابر في الزوايا

وإنَّ ترفع الوضعاء يوما على الرفعاء من إحدى الرزايا

إذا استوت الأسافل والأعالي فقد طابت منادمة المنايا

وأقول: ليس بيد أحد -غير الله- رزقنا فيملك أن يمنعه عنا، ولا بيد أحد -غير الله- أجلنا فيملك أن يقربه منا، فلا نقبل التهديدات ولا نرضاها مسلكا، ولقد قلت لبعضهم: لو تكلم المبتدع محمد حسان في شيخنا بحق لقبلنا هذا الحق، ولو تكلم الإمام ربيع

المدخلي في شيخنا بباطل –والعياذ بالله– لرددنا عليه هذا الباطل، فاتقوا الله عز وجل في دينكم وأنفسكم وإخوانكم!.

الوقفة الثانية: مع من يرمينا بالتعصب لأننا نرد عليهم سوء أدبهم وقبح فعلهم!

فأقول: لا يوجد على وجه الأرض قط سلفي خالص مخلص صادق يرفض بيان خطأ المخطئ، ولو كان هذا المخطئ أباه، أو أخاه، أو ابنه، بل لو كان هو نفسه فضلا عن شيخه، بل إن بيان الخطأ أحب إلى أهل السنة من حمر النعم، وهل عندهم أغلى من دين رب العالمين ليحفظوه؟! وهل لديهم أعز من شرع ربهم ليصونوه؟!

بل إن الذي يبين خطأهم أحب إليهم ممن يمدحهم ويثني عليهم!، لا يبالون بسنه أو وصفه أو مدى علمه، يقبلون الحق ممن جاء به، مهما علت مترلتهم ورتبتهم، وارتفع شأنهم ومكانتهم!

ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم من الخطأ: "**إنما أنا بشر فإذا نسيت فذكروني**"؟! فليتأمل كل متأمل.

لكن بيان الخطأ شيء، وإخراج المخطئ من حظيرة أهل السنة شيء آخر!

الانتقاد بأدب شيء، والسفه بانعدام الأدب شيء آخر!

الحرص على الاستقامة شيء، والانتقام بتصيد (الزلات) شيء آخر!

فحينما نرد على المبدِّعين –استقلالا– ، وعديم الأدب، والمنتقمين في هيئة المدافعين عن الشريعة الذابين عن حوضها: لا يعني ذلك التعصب لمن رددنا عنه.

هذه نقطه الخلاف ومحل التراع وموطن الخصومة بيننا وبين الفريقين من أتباع فلان وفلان، الذين يقاتلون من أجل فلان!، لا لتكون كلمة الله هي العليا!

نحن لا نرضى بإرهاب الأفكار، واغتيال العقول، وقصف الأقلام، وقطع الألسن، لا لشيء إلا كراهيتهم أصل المخالفة!

لا نخشى من يرمينا بالباطل سواء رمانا بأنا حدادية، أو قال عنا متعصبة، فقد رمي رسول الله زورا وإفكا وبهتانا، فكان ماذا ؟

نحن لا نتعصب لشيوخنا ولا نسيء الأدب معهم، وما كان سلفي سيء الأدب قط وما كان قليل الأدب قط، لا نسكت عن خطأ ولا نرد عليه بمثله.

الرد على المخالف واجب وهو أصل من الأصول والسكوت عن المخالف غش وخديعة وخيانة، وشأنه شأن سائر العبادات له شروط وهي:

أولا الإخلاص: فلا يكون الرد إلا لله وإرضاء له لا يكون لطلب جاه أو منصب أو رياء أو سمعة أو لهوى أو لبغض شخصي أو لإرضاء بشري أو ليثبت أنه متجرد أو ليثبت أنه شديد في الحق أو ليثبت أنه متمسك بالسنة أو ليقال عنه عالم أو طالب علم أو ... إلخ، نعوذ بالله من ذلك كله.

ثانيا المتابعة: فلا يكون الرد إلا من عالم أو من طالب علم فلا يكون إلا بعلم وإلا بأدب لا يكون من جاهل ولا بجهل ولا بسوء أدب ولا من قليل أدب ولا بالرسومات الساخرة، ومقاطع الأغاني الفاجرة!، ومقتطفات الأفلام الفاسقة! ولا... إلخ[٦٢].

ومهما أخرجت الباطل في قالب حق أو سميت الأمر بغير اسمه سميت الرد شهادة أو كلمة حق فاعلم أن الحيل لا تزيد الحرام إلا خبثا، وأن الله عليم بذات الصدور وبما في قلوبكم تكنون، فانظر في حالك واضبط مقالك وهذب خصالك.

فإن الرد على المخالف من أعظم العبادات؛ فهو من جنس الجهاد في سبيل الله جلا وعلا، بل هو الجهاد الأكبر، فحذار حذار من أن تلتبس عليك نيتك، فأنت تعلم من أول من يسعر بهم النار!

الوقفة الثالثة: مع بعضهم ممن قلت له: أنا أنكر هذا الاستدلال –وكل من يكلمني في هذه المسألة يعرف إنكاري لهذا الاستدلال– لكن بعضهم ذهب يقول "أبو زياد ينكر على شيخه حسن عبد الستير تبريره لهشام البيلي".

فما يمكن أن نسمى هذا؟، أنسميه سوء فهم؟ أم هو خيانة؟!

ولقد حذف كلامه هذا بعد أن أنكرت عليه وعرف خطأه، لكن بعد أن اطلع عليه بعض الإخوة وظنوا أني أنا الذي حذفته، فأين ما يلزم به الناس من الاعتراف بالخطأ علنا؟!

---

٦٢ وإلى الله المشتكى من زمان صار الجرح فيه بمثل هذه المفسقات التي تجرح صاحبها والآتي بها!!، وإذا أنكرنا عليهم قالوا: ليس للمبتدع حرمة!، وإهانة أهل البدع من منهاج النبوة!!، فإلى الله المشتكى.

وهو هو الذي أنكر على من يدعي الانتساب له استدلاله بقصة خالد بن الوليد مع عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم جميعا!

فهل يحق لنا أن نقول هو ينكر على شيخه جرحه لفلان !

لكننا نتقي الله في خصومتنا معهم لأننا نخاصهم في الله ولله، ولا نقابل الفجور في الخصومة بمثلها، فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به وفضلانا على كثير ممن خلق تفضيلا!

[كلمة أخيرة لشيخنا]

شيخنا الحبيب أبا عمر –حفظك الله– لقد ربيتنا على الاتباع لا التقليد، لقد علمتنا ألا نتعصب لأحد إلا لرسول الله، وألا نتعصب لجماعة إلا لجماعة أصحاب رسول الله، لقد علمتنا آداب طالب العلم مع شيخه وإخوانه والناس من حوله.

فأبشر شيخنا نحسب هذه آثار تربيتك لنا على عدم التعصب، وعلى احترام العلماء، وحفظ جناهم ومعرفة قدرهم، أبشر شيخنا فقد نما الزرع واستقامت ساقه وقويت، وبدت ثماره وظهرت، فهنيئا لك!

والله من وراء القصد، وهو حسبنا، وهو المستعان وعليه التكلان.

وصلى الله على عبده محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتب:

أبو زياد محمد بن محمود آل يعقوب النوبي

في العاشر من رمضان ١٤٣٤ هـ

ثم قمت بتحريره في عدة مجالس مع شيخنا ومع بعض إخواني

حتى انتهيت منه في ٢٧ من ذي القعدة ١٤٣٤هـ